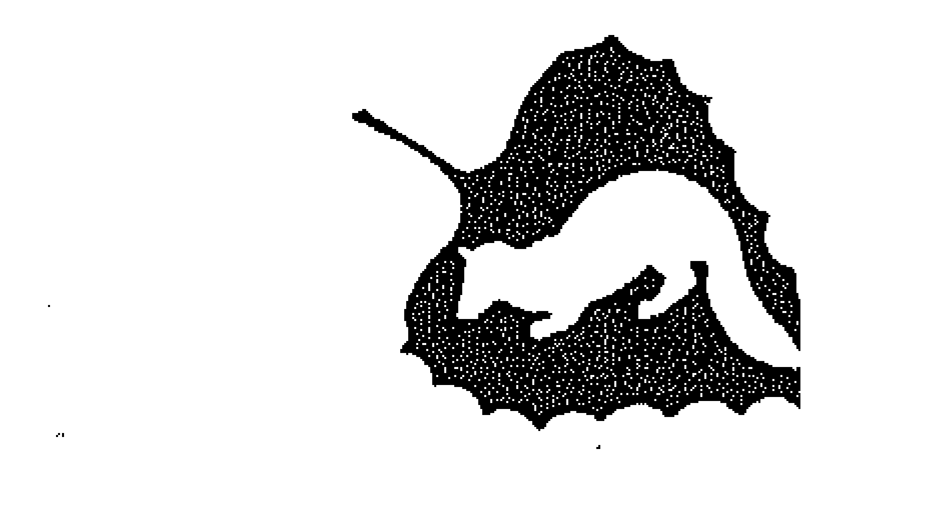
من عجائب الطبيعة

الأمومة في عالم الحيوان



من عجائب الطبيعة



الأمومة في عالم الحيوان

اعداد

قسم الترجمة والتأليف

في دار المعارف للطباعة والنشر



دار المعارف للطباعة والنشر سوسة / تونس

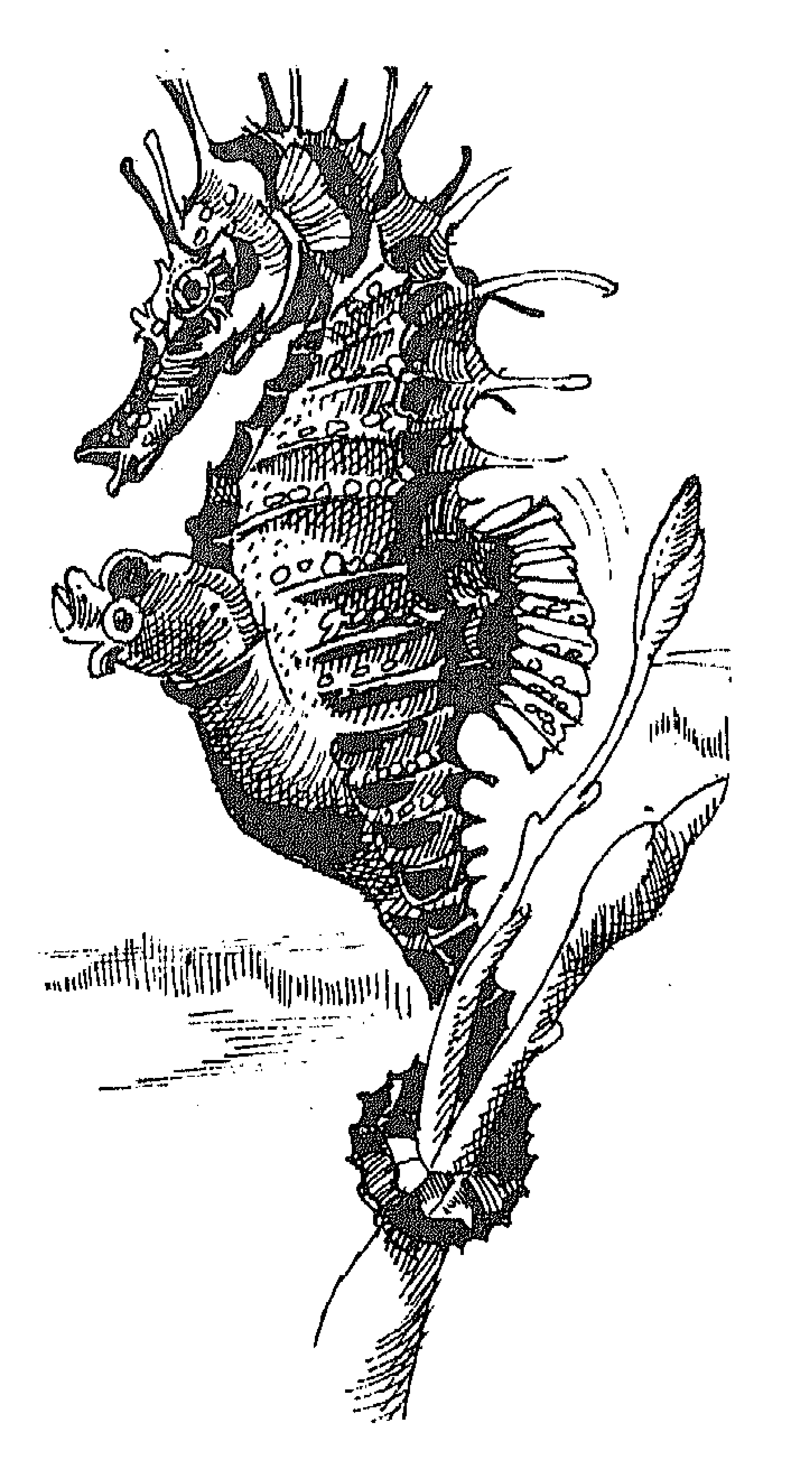
الطبعة الأولى ماي 1990
رقم الايداع 90/176

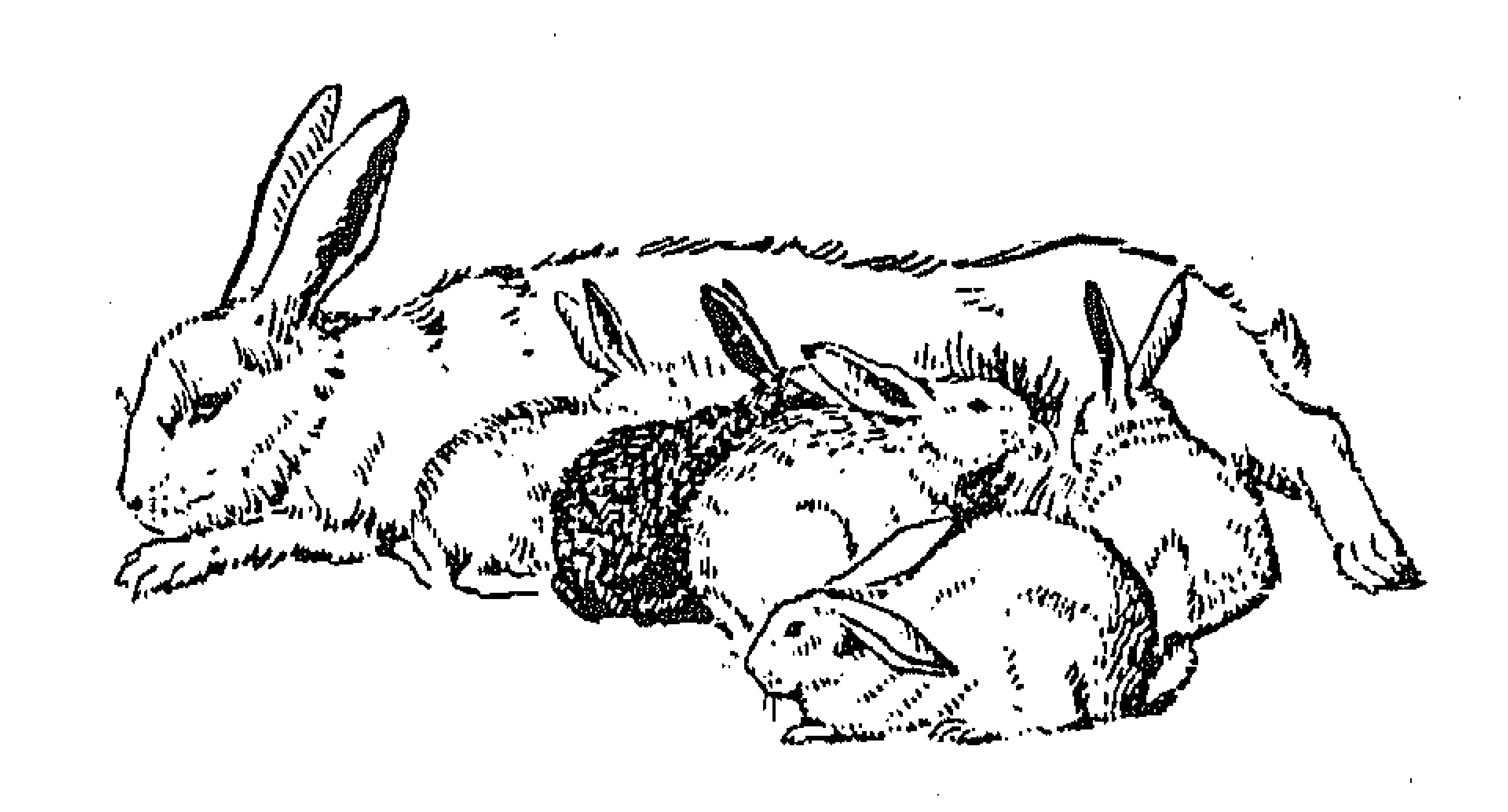
الأمومة في عالم الحيوانات

ان الأمومة عاطفة فطريّة في الانسان وفي الطيور والحشرات وفي كل الكائنات الحيّة، وهي تعبير صادق عن حبّ الأم لصغارها والسعي لاسعادها ومساعدتها على شق طريقها في الحياة. ويكفي ان نلاحظ هذا الشعور في الحيوانات الأهلية والتي تعيش بيننا مثل القطط والكلاب والدواجن. . . ونلاحظ كيف تسعى إلى حماية صغارها من الأخطار والتفكير في إطعامها واللهو معها حتى تزيد اقتناعا بعجائب الطبيعة التي لا تختلف عن عجائب الانسان في هذه الطبيعة بالذات.

ولعلنا نتذكر جميعا قصة تلك القطة التي وقفت أمام طفل وهو يراجع دروسه وكانت في حالة قصوى من الضعف والهزال وظلّت تموء وتنظر إليه

تضع أنثى «حصان البحر» حوالي مائتي بيضة، داخل كيس موجود ببطن الذكر، حيث يحتضن فيه حتى يفقس.





تلد أنثى الأرنب تسعة صغار في كل مرة. لا تفتح عيونها إلا بعد أسبوعين من ولادتها. تظل الصغار ترضع من أثداءاتها ثلاثين يوما.

نظرة كلها شقاء وبؤس، فمدّ إليها الطفل قليلا من الحليب لكنها رفضت تناوله وقفلت راجعة من حيث أتت وهي تلتفت اليه بين الخطوة والأخرى، فتبعها ودخلت به إلى مكان مهجور حيث وضعت صغارها وقد نهش الجوع أجسامهم، فعاد إليهم الطفل في اليوم الموالي بقليل من الحليب والطعام، فوجد أمهم جثة هامدة، وفهم يومها ان القطة المسكينة أحسّت بالموت فبذلت قصارى جهدها لايجاد من يرعى صغارها بعد موتها، وكان ذلك اكبر درس تلقّاه الطفل في معنى الأمومة.

ان الأمومة عند الحيوان تبرز في جميع مراحل حياته وكأن الذكر والأنثى خلقا ليكونا رمزا للتضحية من أجل صغارهما وكأنهما أيضا يعلمان أن بدون هذه التضحية وبدون ذلك الشعور لا يستمر جنسهما وينقرض.



تضع أنثى الدب اثنين أو ثلاثة صغار في المرة الواحدة، وتتميز بصغر حجمها وتظل لا تبصر لمدة أربعة أو خمسة أسابيع وبعد شهرين تبدأ الحركة. ويوما بعد يوم تتعلم الدببة الصغار كيف تعتمد على نفسها وذلك تحت رعاية الأم.



تحمل عصافير « الخطاف » الطعام من حشرات أو يرقـات في مناقيرها، وتدفع بها في فم الصغار.



تعتبر الأعشاش عند الطيور أهم عمل تهيئه لصغارها قبل وضع البيض، وعادة يشترك في بنائه الأم والأب.

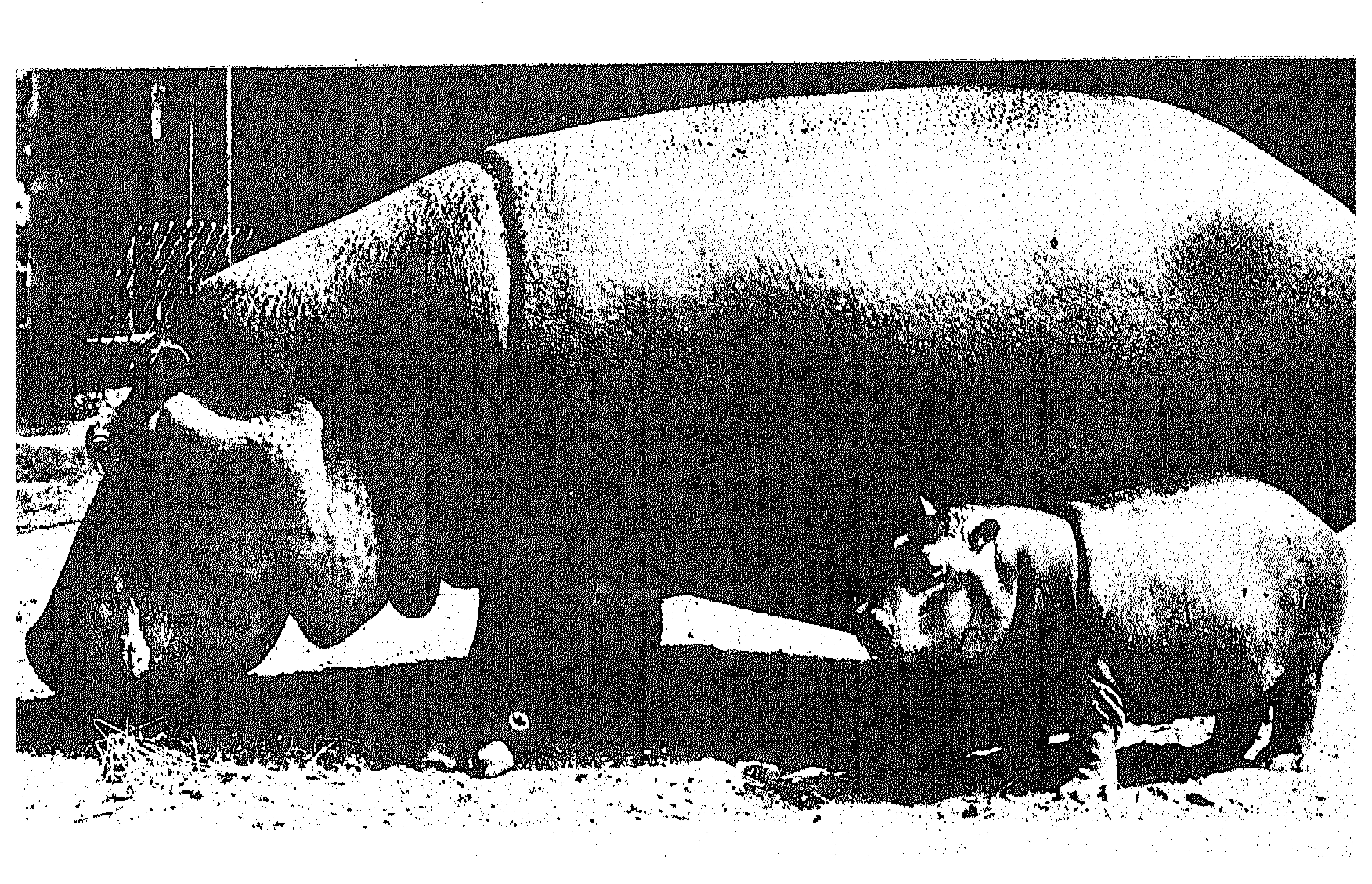
فالأمومة والأبوة في عالم الطيور تبدأ ببناء العش لتليها مراحل اخرى هي : وضع البيض وحضانته ثم نقْفُهُ والبقاء إلى جانب الفراخ حتى تصير قادرة على الطيران. وتخضع غريزة الأمومة لآليّة محدّدة تكون بسرعة العلاقة التي تربط بين الأم وصغارها. وإنِ استطاعت الأم أن تتعرّف على صغارها، فإن هذا يرجع في الأصل إلى تعلق الصغار بالأم. وإن كانت الصغار لا تتمتع بسرعة الحركة عند خروجها مباشرة إلى الحياة، فذلك راجع إلى الدّور الأساسي والهام الذي يلعبه العش في تكوين العلاقة بين الأم وصغارها.

وتوفير الغذاء للطيور الصغيرة بعد فقسها هو من أكبر الأدلة على عاطفة الأمومة التي تكمن في الحيوان. فهناك من الطيور مثل الدجاج والبط . . . ما لا يقوم بهذه العملية باعتبار أن فراخه تشرع في بحثها عن طعامها بمفردها تحت حماية الأم وذلك على عكس العصافير التي تتكفل بإطعام فراخها حتى تصير قادرة على الطيران وعلى إطعام نفسها.

الأمومة شعور وتضحية ووفاء

يروي طبيب في القرن الماضي أنه اضطرّ إلى السفـر وكانت كلبته على وشك الولادة. وعندما كان في طريقه إلى منطقة توجد في الضواحي لاحظ ان الكلبة تحاول اقتفاء أثره وقد نجحت فعلا في ذلك ووجدت النزل الذي حلّ به، فتوجهت إلى الاسطبل حيث نامت ووضعت به أربعة جراء. فقال صاحبها : « عجبا ! سأنقلها على سيّارتي » وذهب ليجمع أدباشه ولكنه عندما قدم في المساء لم يعثـر على أي شيء بالاسطبل، فلا الأم ولا جراءها، فاضطرّ إلى الرجوع إلى قريته وحده

الأمومة عاطفة يشترك فيها الانسان والحيوان، وهذه عاطفة قوية توجد عند كل الكائنات الحية.



حائرا، وتصوّروا المفاجأة العظيمة التي اكتشفها، فقد راعه أن وجد الكلبة مبتلّة تماما لاهثة مرهقة وقد ضمّت جراءها تحتها لتدفئتها، فماذا جرى ؟

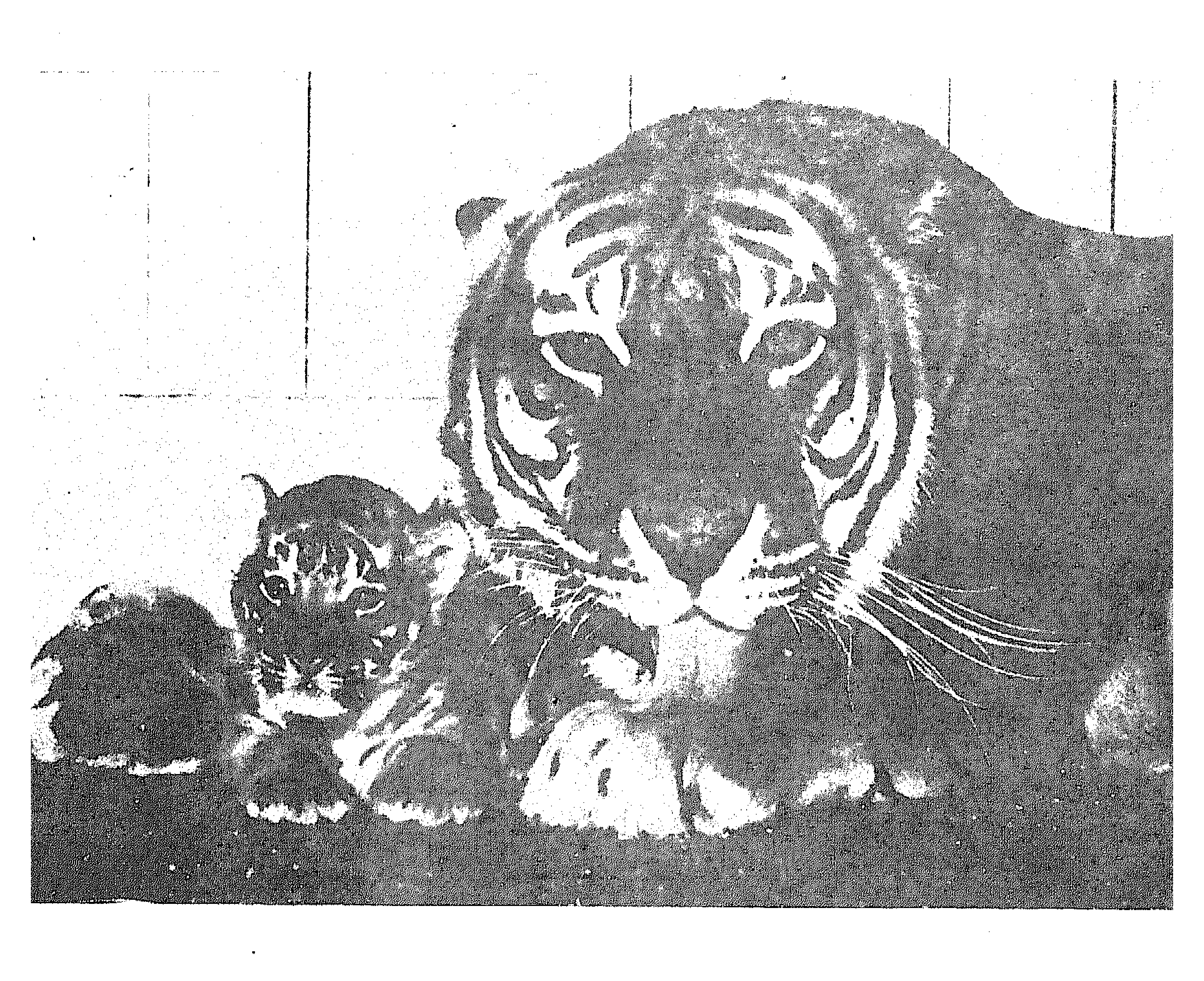
إن المسافة التي تفصل بين القريتين تبلغ ستة عشر كيلمترا. وفضلا عن ذلك نجد نهر الرّون الذي يجب اجتيازه (وهو نهر كبير) ورغم ذلك فإن هذه الكلبة المنشغلة بمصير صغارها استطاعت ان تحمل جراءها الواحد بعد الآخر، وكانت لها القوة التي مكّنتها من اجتياز مسافة تبلغ اربعة وستين كيلمترا دون انقطاع مع أنها قد اجتازت النهر العريض والسّريعة أمواجه ثماني مرات وهي سابحة.

إن تضحية الأم عند الحيوان تضاهي تضحيتها عند الانسان، فهذا الحيوان الذي نعتقد أنه لا يفهم شيئا من هذه الحياة وهو كائن وُجدَ منذ بدء الخليقة ليعيش ثم يموت، نجد عنده أرهف الأحاسيس وأرقى معاني الأمومة. وإن كانت الكلبة التي ذكرنا قصتها سابقا قد عايشت الانسان وهي متأثرة نوعا ما بسلوكه وتربيته ونمط عيشته، فإن أمومة الحيوان ليست متجليّة في محيط الانسان فقط بل هي أقوى وأشدّ تعبيرا حتى عند الحيوانات التي تعيش في الأدغال والغابات الكثيفة الأشجار، ويمتزج دور الأم في هذه المناطق بالتضحية والاقدام على الموت من أجل صغارها.

ويروي أحد الصيادين مشهدا لا يبعث على الفرح، فقد عثر في احدى الغابات الافريقية على أنثى من قردة (اورنغ اوتان)، وهي محتضنة صغيرها بين ذراعيها على قمة إحدى اكثر الأشجار علوّا، فأطلق عليها النار وهشمت الطلقة إبهام رجلها الكبير، فصاحت صيحة مهولة ولكنها في الوقت نفسه رغم ألمها الشديد رفعت رضيعها بقدر ما يمكنها ذراعاها الكبيران وألقته على الغصون الكثيرة والخلفية للشجرة، وفي ذلك الوقت اقترب الصيادون من الشجرة في حذر ليطلقوا عليها طلقة ثانية. ولم يحاول هذا الحيوان الفرار قطّ ولكنه بقي يلاحظ بكل عناية حركاتهم مُصدرا في نفس الوقت أصواتا خاصة، وابتداء من ذلك الحين يبدو أن القردة تناست نفسها وتفرّغت للتفكير في مصير صغيرها وكانت تُلقي نظرات نحو طرف الشجرة وهي تحثّه برجلها على النجاة بنفسه في أسرع وقت، وكانت ترسم له الطريق أيضا حتى يصل إلى الأجزاء المظلمة فينجو. وقد اسقطت الطلقة الثانية الحيوان على الأرض بعد أن اخترقت الرصاصة صدرها ولكن وليدها فاز بالنجاة.



تلد أنثى الكنغر طفلا صغيرا جدا إلى حد أنه يمكن وضعه في معلقة عند ولادته. والمولود يزحف إلى الكيس الموجود في بطن الأم، ويظل هناك إلا أن يصبح بامكانه الاعتماد على نفسه.

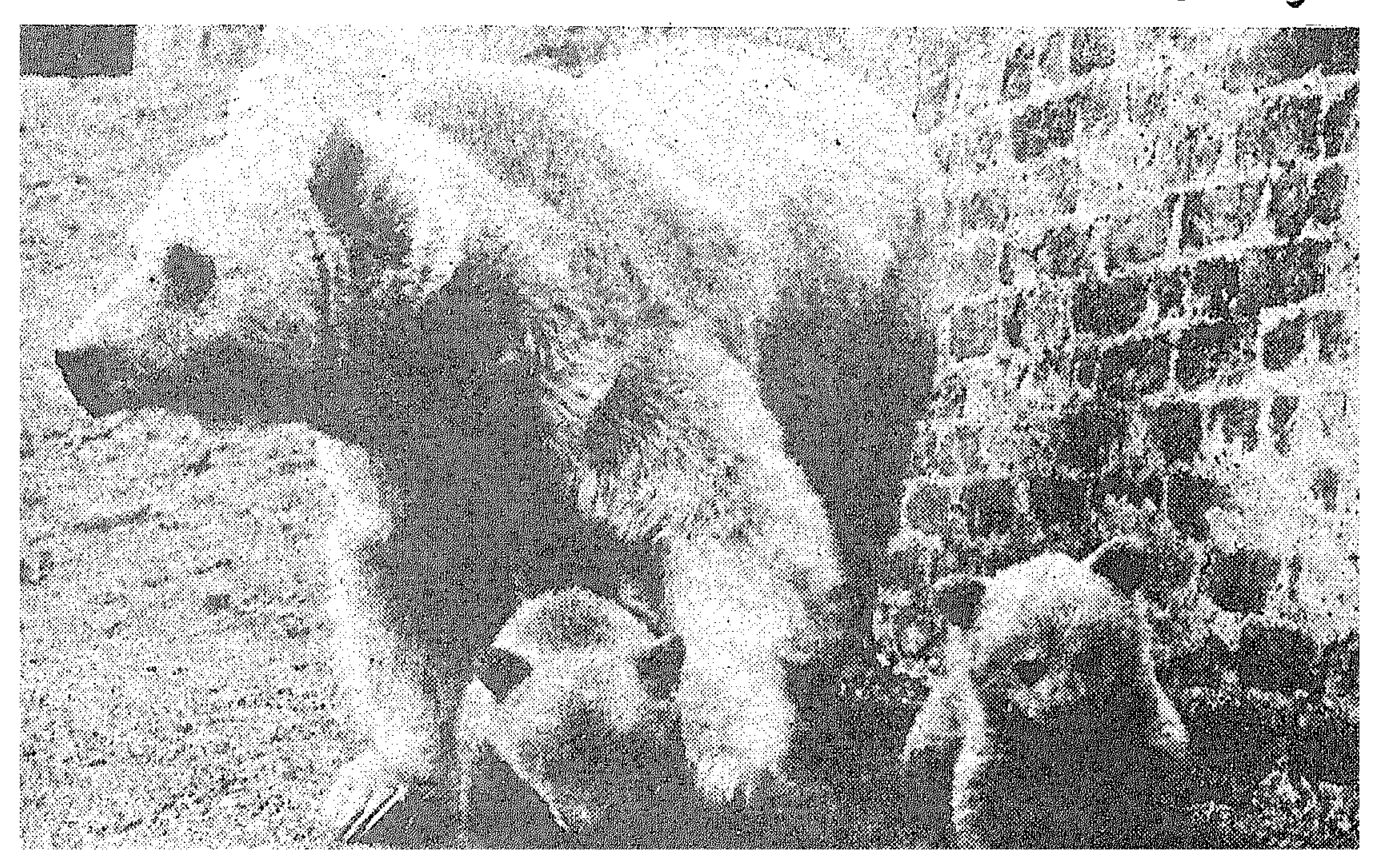


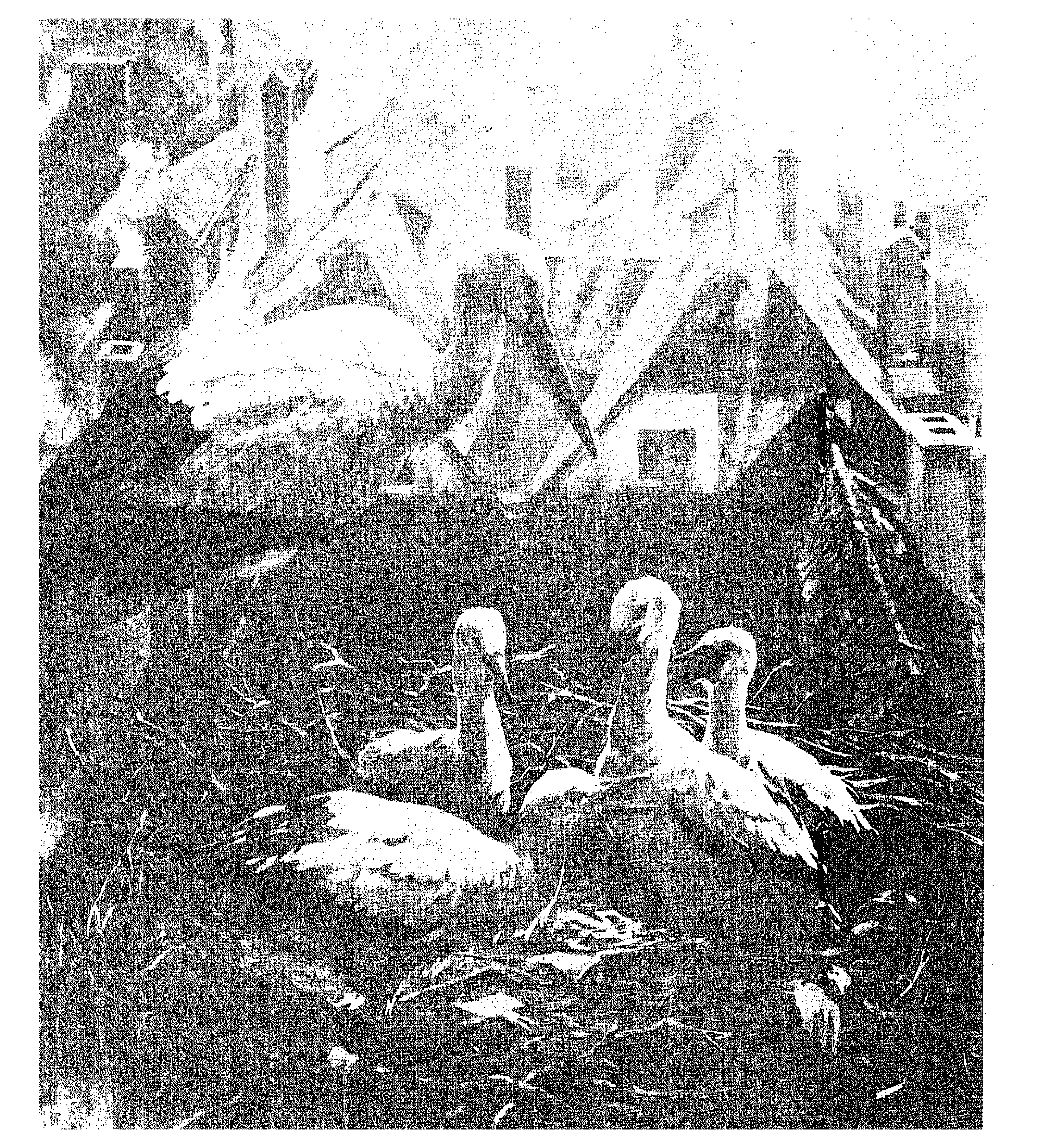
لا يكاد ينتهي الشبل الصغير من طعامه، حتى تبدأ الأم بتنظيفه، وذلك بلعقه بلسانها.

إن استماتة الأم في الدّفاع عن صغارها لا تختلف عن الشعور الذي تبديه نحوهم في الظروف العاديّة، وما تخاف منه الأم قبل أن تضع الصغار يفقد أهميته عندها حين يكون لديها صغار، فحماية الصغير من الأخطار لا تختلف عن اطعامه واللّهو معه وتدريبه وتقوية شعوره الأمومي أو الأبوي حتى يقوم برسالته نحو صغاره تماما كما فعلت أمه.

وتعتبر أمّ الكنغر من أشد الحيوانات الآسيوية حفاظا على صغارها، وقد حدث ان أصيبت احدى الأمهات بجراح من طرف صياد فهربت بصغارها في جرابها ولم تنفصل عنها، وهي تقوم بذلك في مرحلة أولى أما إذا أضناها التعب وأرهقها نزيف الدم، فتتوقف وتستقيم على قائمتيها الخلفيتين وتساعد بالأماميتين صغارها على الخروج من الجراب ثم تحاول توجيهها إلى الأماكن التي تجد فيها خير ملاذٍ، وبعد أن تحس الأمهات بتباطؤ الصياد نراها تعود إلى صغارها وتربّت عليها وتغمرها بحنانها كأنها تريد تبديد مخاوفها ثم تحتضنها من جديد في جراباتها وتبحث وهي فخورة عن دغل آخر بعيد عن المخاطر والانسان.

عندما تقوى الصغار على العدو تخرج مع الأم أو مع الأبوين لتشاهد عن قرب كيف تحصل على طعامها.





لكل حيوان تعبيره الأمومي

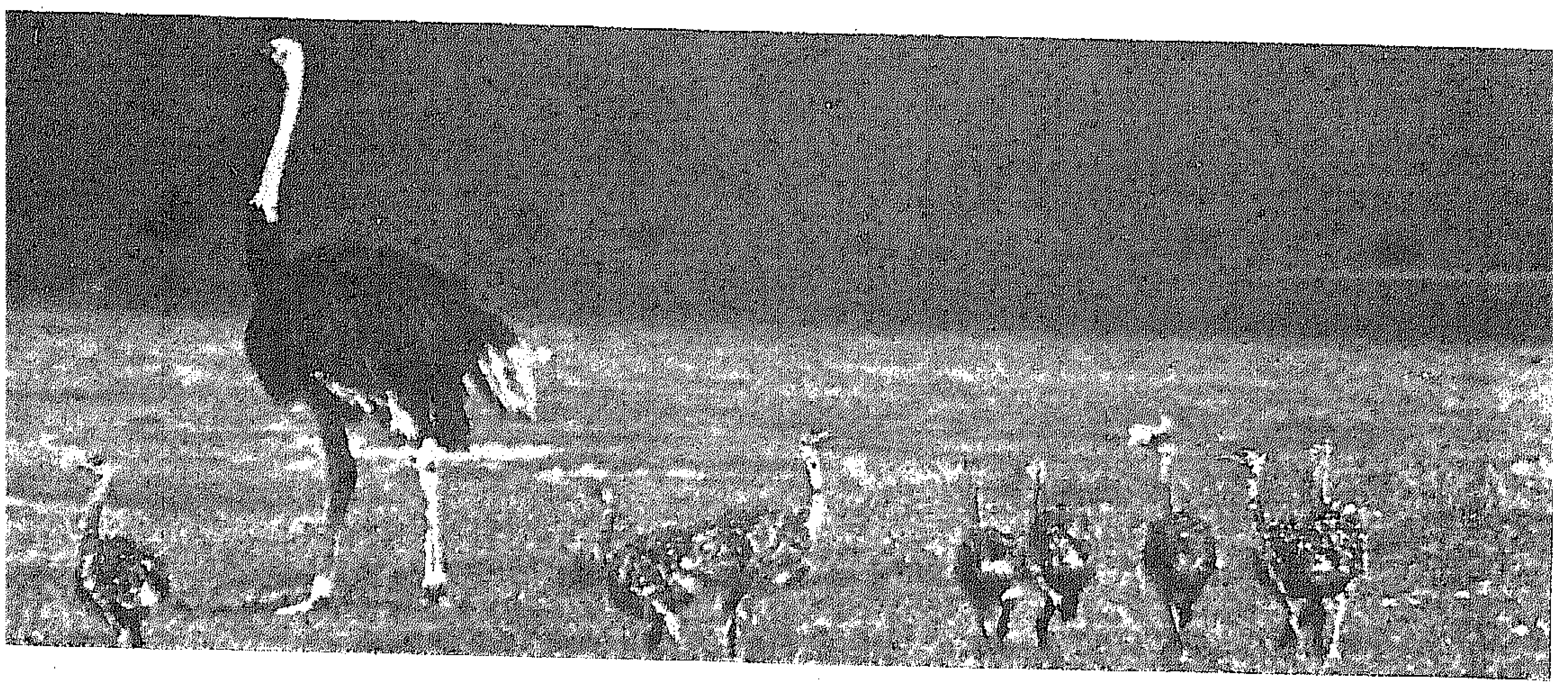
عند معظم الحيوانات يعتبر وجود الأم من أهم العوامل التي تضمن استمرار حياة الصغار، فالنعجة تلحس وليدها الحمل لتنشط عنده عمليّة الرضاعة مما يزوّده بمادّة الكوليسترولوم التي تقلّل من حدوث الوفايات بين الرضع. وعند نوع من الحشرات، لابد للأم من لحس البيض بصفة مستمرة حتى تجنّبه الاصابة بالعفن. ومن ناحية اخرى، فإن المرحلة التي تنمو فيها علاقة الأم بصغارها لها أكبر الأثر على الناحية السلوكيّة، فإن وجود الفأرة الأم يضمن نموّ الجهاز العصبي المركزي لصغار الفئران وهذه العملية لا ترتبط بالتغذية وانما بالعلاقة نفسها. ولا تقتصر رعاية الأم وحمايتها لصغارها على الحيوانات البريّة فقط، ففي الأنهار نلاحظ ان السمكة الأم تحمي صغارها بعش تصنعه من فقاعات الهواء. والعقرب المعروفة بذيلها الأصفر تحمل صغارها بعد فقس البيض ولا تتركها إلا بعد أن تبدأ في الاعتماد على نفسها. أما النمل، فإنه يمثل صورة اخرى من حنان الأمومة، فأول ما تقوم به الملكة الأم هو اعداد حفرة في الأرض لتضع فيها البيض وتقطع الأم اجنحتها ويالها من تضحية حتى تتفرّغ تماما



للعناية بالصغار وتغذيتها. وعند بعض الضّفادع، تقوم الأم ببناء العش الذي ستبيض فيه فتختار مكانا غير عميق ثم تغوص إلى القاع حاملة الطين على رأسها وتصنع به حائطا مستديرا ثم تبيض فيه.

أما التمساح الأم، فتضع بيضها في مكان أمين وتحرسه حتى يفقس، وترعى الأم صغارها ومنها ما يبني عشا دائريّا من الرّمل عمقه قدمان تضع فيه البيض ثم تغطيه بالرّمل، وعند الفقس تحدث الصغار أصواتا داخل القشرة تلفت انتباه الأم فتزيل الرّمال وتأخذ الصغار إلى الماء لترعاها وتحرسها. وعاطفة الأمومة قوية جدا عند التماسيح، فإذا أقيم حاجز بين الأم وبين عشّها وسمعت نداء صغارها، فإنها تقتحم الحاجز فورا وتحطّمه بشدة ولهفة حتى تطمئن على صغارها أو تبعد عنهم الخطر، والمشهد المؤثر بحق حين تكون ملتفة حول صغارها لتغمرهم غبطة وحنانا.

يتعلم الصغار الكثير من الأم، فتتغذى على الأشياء التي اعتادت الأم اكلها.



ومن اشـــد ما يجلب انتبـــاه زائـــري حدائق الحيـوان، منـظر صغـار الأسود "الأشبال" وقد التفّت حول أمها التي تحوّلت شراستها إلى وداعة وحنـان، وتحوّلت نظرتها الشريرة إلى نظرات ودّ وألفـة وهي تراقب في الوقت نفسه كل ما يدور حولهـا بانتبـاه وحـذر خشية أن يصيب صغارها مكروه ما أو يفترسها حيوان آخر غريب وقد رأى في الأشبـال فرصة للقضاء عليها وأكلها قبل أن تكبر وتصير ملوكا للغابة.

وتـرعى اللبؤة اشبالها بنظام كامل من العناية فهي تنظفها وتلعب معها، تغذّيها وترعاها وتدرّ بها على الانتباه وردّ الأخطار . . .

كوجر ـ اسم أسد امريكي تحمل انثاه ابناءها من مكان إلى مكان آخر بين أسنانها.





العلم يفسّر مشاعر الأمومة

عندما يقرر السنجاب تغيير عشه، يأخذ صغاره بين أسنانه بحذر، في حين يمسك الصغير أمه بيديه.

لقد توفّرت الملاحظة وأثمرت التجارب وبينت أن الأم هي الوحيدة القادرة على العناية بصغارها وغمرهم بالحنان والسعادة خلافا للأب الذي يظهر لصغاره بشيء من القسوة فتفرّ منه إلى أمّها وهذا لا يعني أن الأب ينفر من صغاره بل يغار عليها في بعض المواقف ويدافع عنها لكنه قليل الاكتراث بها في الظروف العادية وهو يوكل مهمّة السّهر عليهم لأمّهم الحنون. ما هي إذن أسباب هذه الغريزة الفطريّة التي أوجدها الله في مختلف أنواع مخلوقاته من الأناث، ماذا يقول العلم في تفسيره لمشاعر الأمومة ؟

لقد أعلن منذ مدة ولأول مرة في هذا الموضوع أن مشاعر الأمومة الفيّاضة مثل رغبة الأم في ارضاع طفلها وإحاطته بعطفها وحنانها تعود بالدرجة الأولى إلى عمل بعض الهرمونات في جسمها. فالهرمونات طائفة كبيرة من المواد

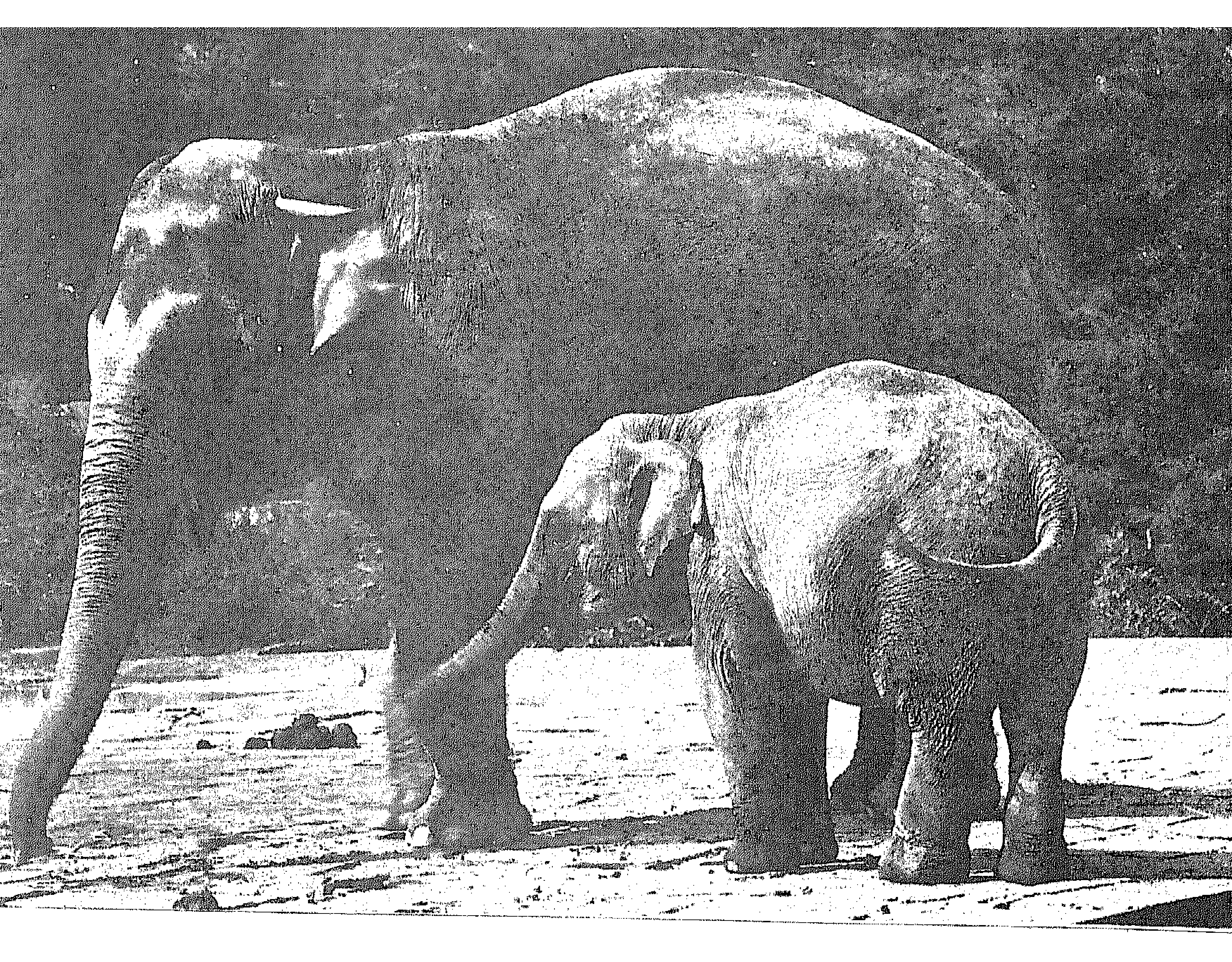
الكيميائية المتخصّصة التي تفرزها مجموعة من الغدد الصمّاء في الجسم ـ أي غدد من دون قنوات تصبّ فيها إفرازاتها المختلفة ـ هذه الهرمونات تحافظ على صحّة وحيوية خلايا الجسم وأنسجته وأعضائه المختلفة كما تشجّع على إظهار صفات الذكورة والأنوثة المميّزة بالاضافة إلى أنها ذات صلة وثيقة بمشاعر الحبّ والعداء والخوف والقلق التي كان يُعتقد في الماضي أنها حالات ذهنية أو نفسانيّة طارئة تنتاب الانسان وحتى الحيوان.

وقد أجرى الدكتور "روبرت بريدجز" من كليّة الطب بجامعة هارفارد الأمريكية تجارب مخبريّة توصّل بها إلى جعل مجموعة من ذكور الفئران تتصرف مثل الاناث الأمّهات إزاء الصغار وذلك بعد حقنِها بجرعات من هرموني "استراديول" و"بروجسترون" وهما الهرمونان الأنثويان اللّذان يتوافران بكثرة في جسم الأم أثناء الحمل، وبعد يومين من الحقن بالهرمونات، أخذت ذكور الفئران تبني الجحور مثل الاناث وتحنو على الصغار لتحيطها بالدفء والرعاية تماما كما تفعل الاناث.

ويعلّق الباحث على هذه النتائج المثيرة بأنها توحي بقوة استجابة الأم لمولودها الجديد. كما لا ننسى وجود عواملَ اخرى كيميائية يمكن ان



تلد أنثى «الكولا» صغيرا واحدا يقضي سنة كاملة في جراب أمه، أو معلقا بظهرها حتى يكبر.

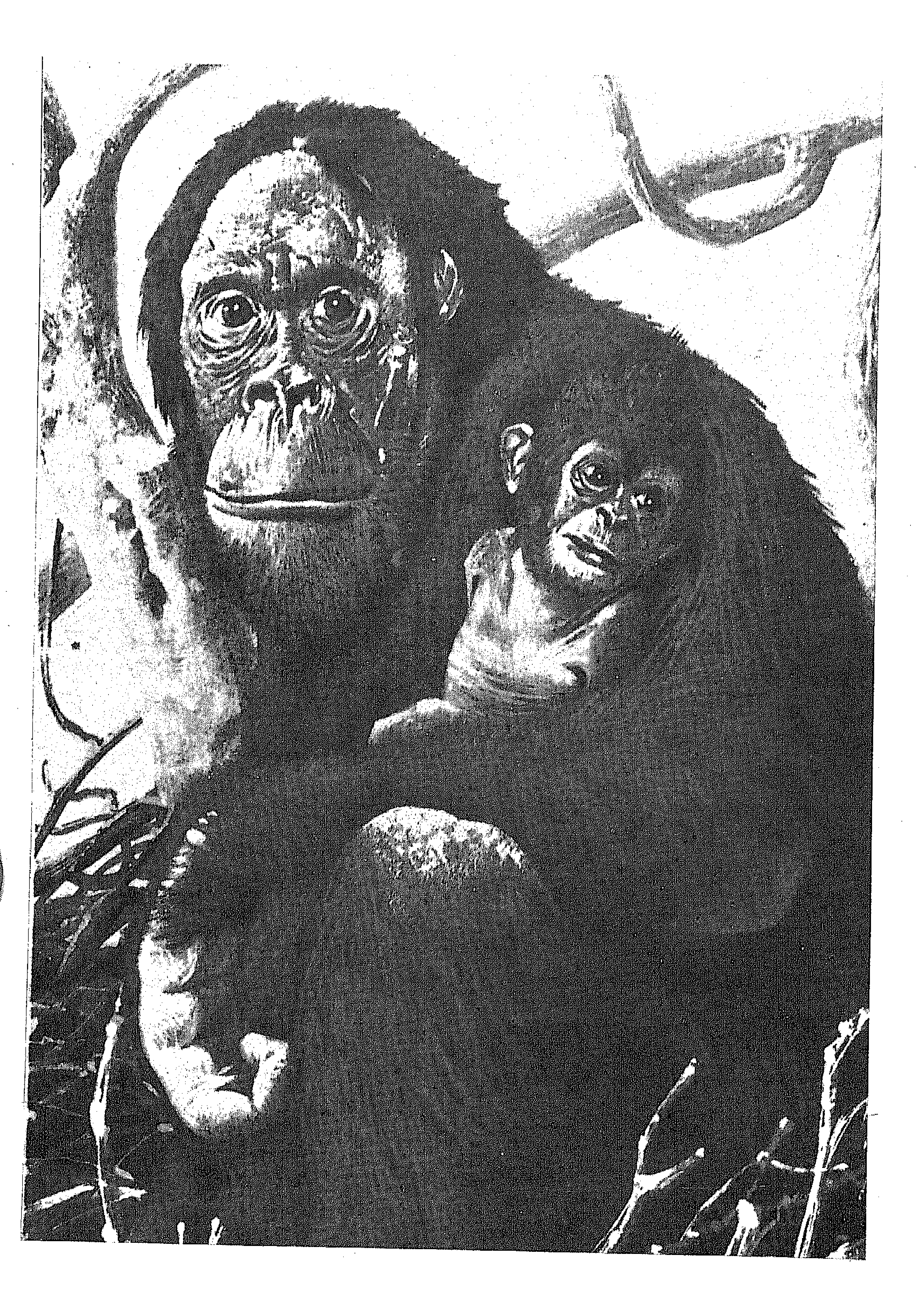


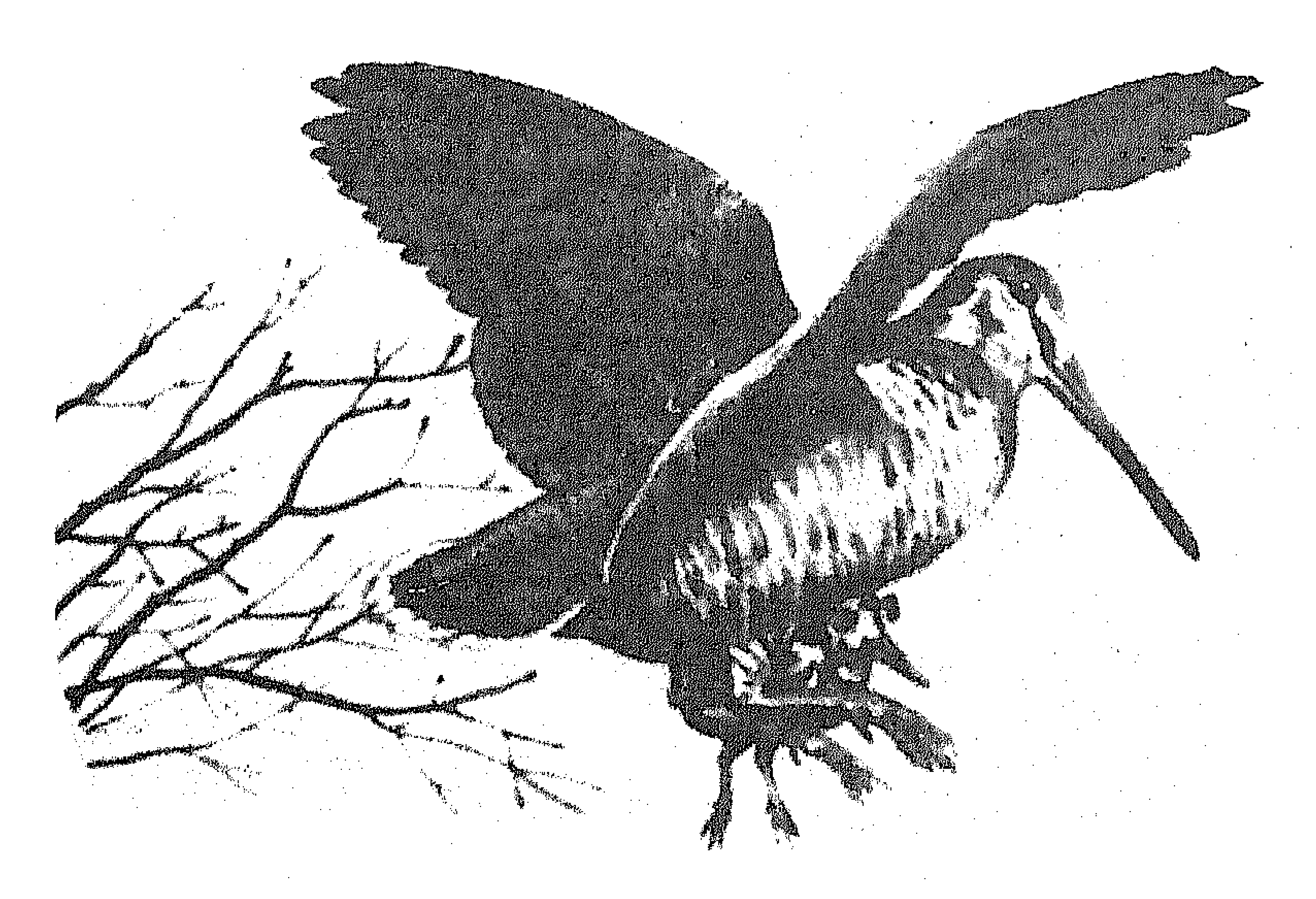
أثبت العلم أن رغبة الأم في ارضاع طفلها، واحاطته بعطفها إنما تعود بالدرجة الأولى إلى عمل بعض الهرمونات في جسمها . .

تلعب دورا مهمّا في تحريك مشاعر الأمومة مثل المواد الطبيعيّة المخدّرة التي يفرزها الدّماغ مثل مادّتي « الاندورفين والأنكفالين » وكلاهما يرتفع في جسم المرأة أثناء الحمل وينخفض بعد الولادة مباشرة. ويرى علماء البيولوجيا النفسانية في جامعة ستانفورد الأمريكيّة ان الاستجابات الهرمونية في الجسم هي بمثابة نافذة على الدماغ، فبتحليل هذه الاستجابات المختلفة يمكن منها الاستدلال على حالة الدماغ. ففي أحد الاختبارات، اكتشف هؤلاء العلماء ان القردة تتخذ من جماعتها وسيلة للتخفيف من حدة القلق

والخوف عند مواجهة الأخطار، فوضعوا وسط مجموعة من القردة صندوقا به أفعى كبيرة، فدبّ الرعب في القردة وابتعدت بسرعة عن الصندوق، ثم أعيدت التجربة بوضع الصندوق أمام قرد واحد في القفص فدبّ فيه الرعب وابتعد بسرعة عن الصندوق، لكن بملاحظة فارق كبير إذ تبيّن أن الضغوط النفسية (الفيزيولوجية) الناتجة من الرّعب كانت أعلى بكثير في القرد عندما واجه الأفعى بمفرده. واستطاع العلماء ان يتبيّنوا مستوى الضغط الفيزيولوجي في القرد بقياس مستوى مادّة « كورتيزول » المتكوّنة في الدم وهي ناشئة الهرمونات التي تفرزها الغدّة الكظريّة (الموجودة على قمة كل كلية) في اوقات الشدة والقلق.

◀ قردة ـ أورانغ أوتان ـ تضع صغيرا واحدا في الغالب، وترعى الأم صغيرها فترضعه وتحمله في حضنها كما يفعل الانسان، والقردة الأم تبذل لصغارها الكثير من الحنان في شهور عمره الأولى.





طير يدعى « دجاجة أرض » عندما يحس بالخطر، يأخذ فراخه الواحد بعد الآخر بين رجليه، وينقلها إلى مكان آمن.

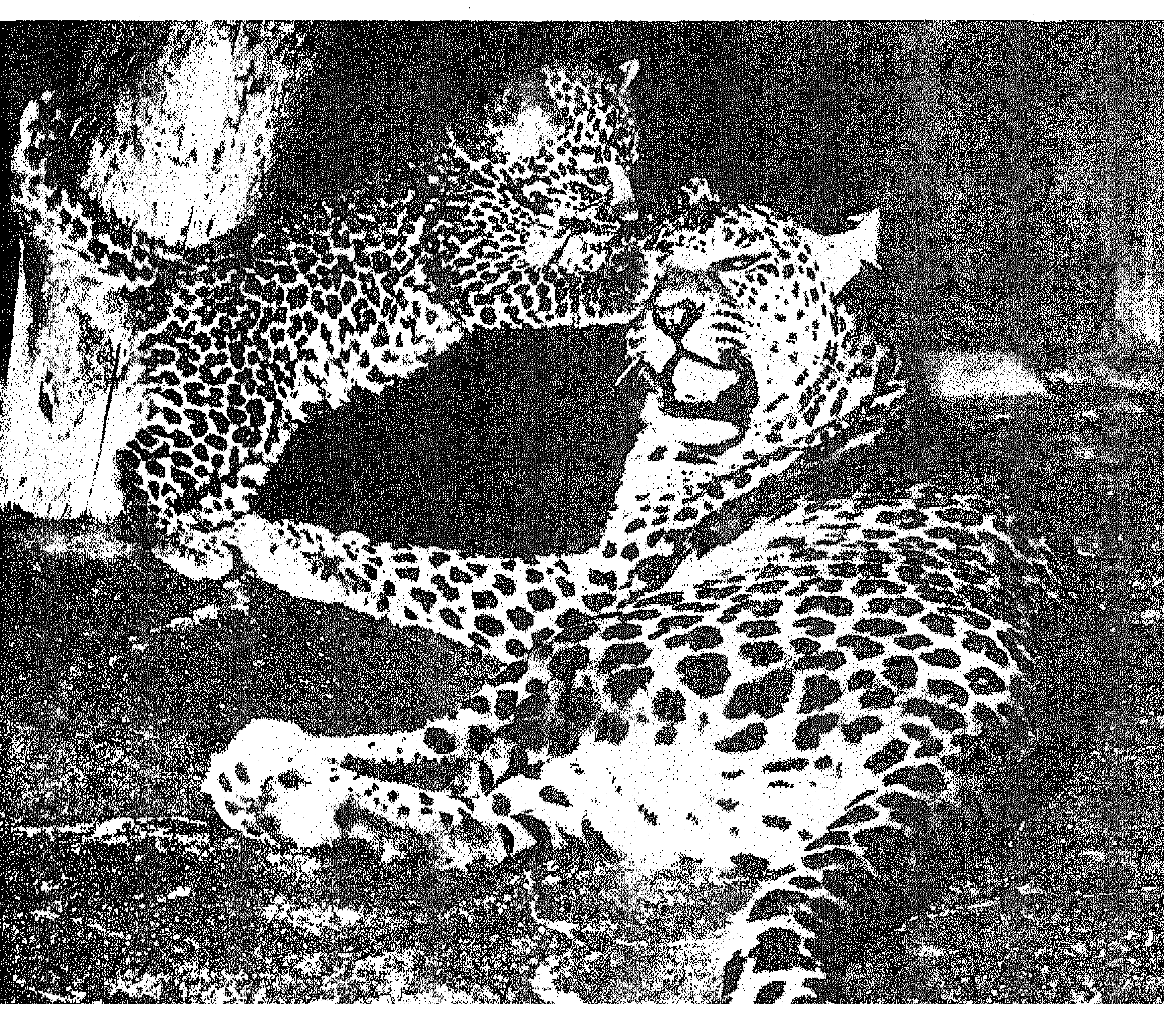
وقد قام فريق من العلماء أيضا في معهد السلوك الحيواني بجامعة روتجرز الأمريكية بعدّة تجارب وملاحظات على عدد من القطيطات حديثة الولادة وخاصة على كيفية تصرّفها بالنسبة للرّضاعة والشعور بالانتماء. وتبدأ عملية الرضاعة بعد الولادة ببضعة دقائق، تنام الأم على جنبها ثم ترشد صغارها إلى مكان أثدائها، وتستمرّ القطة الأم في هذه العملية ثلاثة اسابيع، وتبدأ الأم بتشمّم أبنائها ثم لحسها بلسانها . . . وفي الأسبوع الثالث تبدأ ظاهرة اللعب عند القطيطات ثم تتطور في الأسبوع الرابع لتلعب مع أمّها متنعّمة بمشاعر الأمومة الفيّاضة . . .

وهنـاك أيضـا في هذه الطبيعة العجيبة بعض الحيوانات التي لا تعتني بصغارها بعد وضعها فهي عديمة الأمومة إن صحّ التعبير، نذكر من هذه الحيوانات الزرافة التي تكتفي بلحس صغيرها بعد الـولادة فقط ثم تبتَعـد عنه غير مبالية بمصيره، وعلى الصغير أن يُجْهد نفسه في التقرّب منها حتى يرضـع الحليب. وهنـاك أيضـا بعض الحيوانات البحريّة التي لا تهتمّ ببيضها، فيُتْلَفُ ويؤكَلُ بعد فقسه من طرف الحيوانات البحرية الأخرى.

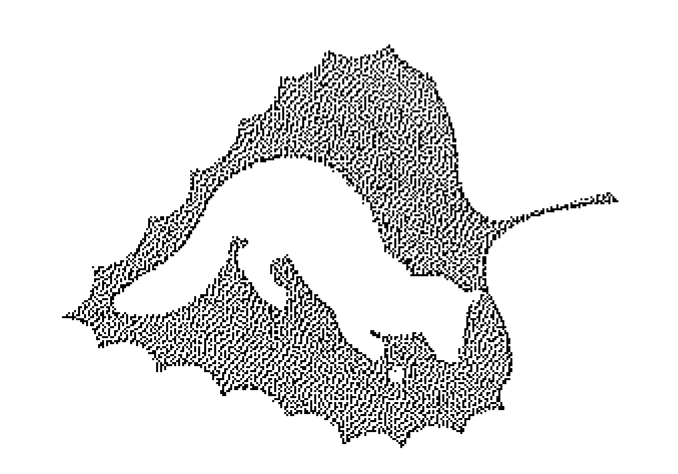
تقوم الطيور المائية بتعليم صغارها السباحـة أو الـطيران، وتختص الأم بتقديم هذه الرعاية.

وبصفة عامة، فإن اغلب الحيوانات تعتني بصغارها حتى بلوغها السن التي تسمح لها بمواجهة مصاعب الحياة ولتوفير القوت لنفسها ثم الاعتناء بصغارها مثلما فعلت الأم من قبل، وزرع مشاعر الأمومة في الأجيال القادمة لضمان استمراريتها تماما كما يفكر الانسان في هذه الطبيعة العجيبة.

تلعب صغار السباع مع بعضها، ولابد للأم من مشاركتهم في هذا اللعب.



سلسلة من عجائب الطبيعة



تحتوي على العناوين التالية :

الحيوانات واسلحتها .
ثروات الحيوانات .
الطيور المهاجرة .
النباتات آكلة اللحوم .
الأمومة في عالم الحيوانات .
التكاثر والنمو عند الحيوانات .
الأحياء الدقيقة .
النظام الاجتماعي في حياة النمل .
الخلايا انسجة اجسام النباتات والحيوانات .
حيوانات تصدر اضواء .
حيوانات الصحراء .
الحواس المرهفة عند الحيوانات .

تم سحب 5.500 نسخة من هذا الكتاب ـ الثمن : 750 . ــ ــ ــ